مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 11 / العـدد:01 (جانفي 2023) ص 220– 249
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

الأندلسيون في مدينة الجزائر (ق 16 – 17م): الهوية والاندماج

The Andalusian in Algiers (16-17) centuries: Identity and Integration

خديجة أورزيفي
Khadidja OUREZIFI

جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر2 (الجزائر)، khadidja.ourezifi@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/02/22	تاريخ القبول: 2022/07/20	تاريخ النشر: 2023/01/22

الملخص : كان لسقوط غرناطة سنة 1492م، أثر كبير على الحوض الغربي للبحر المتوسط، ليس فقط في الجانب السياسي، بل إن هذا الحدث كان له أثر كبير على ديمغرافية المدن المغاربية ومن بينها مدينة الجزائر، حيث شكل فيها الأندلسيون طائفة مهمة عدديا مدعومة من طرف السلطة العثمانية التي لعبت دورا مهما في استقرارهم بالمدينة، بينما بقي هناك نوعا من الغموض في علاقتهم مع بقية الطوائف المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر، وهو الأمر الذي دفعنا إلى التساؤل عن طبيعة هذه العلاقة؟ أغلب الدراسات التي تناولت هذه الطائفة بالدراسة أكدت على أنها لم تكن مندمجة مع المجتمع الذي تعيش فيه، فما مدى صدق هذه الرؤية؟ وكيف تعاملت الطائفة الأندلسية مع هذا المجتمع الجديد الذي وجدت نفسها فيه؟

الكلمات المفتاحية: الأندلسيون؛ الاندماج؛ الهوية ؛مدينة الجزائر؛ الفترة العثمانية.

Abstract: The fall of Granada in 1492 AD, had a major impact on the western basin of the Mediterranean. In Fact, its influence was not limited to politics, it had extended to the Maghreb cities' demography including Algiers; the city where the Andalusians formed an important numerical group supported by the Ottoman authority.

Although there was a kind of ambiguity in their relationship with the rest of the population of Algiers, the Andalusians played a prominent role in the stability of the Ottoman authority, which prompted us to ask about the nature of this relationship? Most of the studies that dealt with the Andalusian community confirmed that they were not integrated in the society in which they live, so what is the sincerity of this vision? How did the Andalusian community treat itself with this new society she found?

Keywords: The Andalusian; Algiers; the Ottoman Period, Identity, Integration

المؤلف المرسل: خديجة أورزيفي ، **الإيميل**: khadidja92.ourezifi@gmail.com

1. مقدمة:

إن الأحداث التي عرفها الحوض الغربي للبحر المتوسط بسبب الصراع الإسلامي المسيحي، كان لها أثر كبير على كل المناطق القريبة منه، فبعد ظهور عمليات الإسترداد في شبه جزيرة إيبيريا، كان التواجد الأندلسي المكثف في بلاد المغرب أمر قد اعتادت عليه بقية العناصر المكونة لمجتمعات هذه المنطقة، ولكن سقوط غرناطة سنة 1492م، وحرب البشارات الأولى (1499 – 1502م)، ثم الثانية (1568 –1571م)، ثم قرار التهجير النهائي (1609 – 1614م) للأندلسيين الموريسكيين، كل هذه الأحداث كانت قد زادت وتيرة الهجرات الأندلسية الجماعية، هذه الهجرات التي حملت للعالم الإسلامي بشكل عام وبلاد المغرب بشكل خاص أعدادا هائلة من السكان، مشكلة طائفة سكانية رغم اشتراكها مع بقة السكان في العديد من العناصر، إلا أنه لطاما بقيت هناك العديد من نقاط الاستفهام متعلقة بها.

إن مدينة الجزائر التي كانت الممثل الأول للسلطة العثمانية في بلاد المغرب، هي واحدة من المدن التي شهدت تواجد عناصر كثيرة من هؤلاء الأندلسيين بمختلف طوائفهم، خاصة وأن الإدارة العثمانية في الجزائر كانت قد حاولت بشتى الطرق مساعدة الأندلسيين واستجلابهم إلى المدينة، فمن المعلوم أن الحضور المكثف لأي طائفة في مكان ما هو أمر من شأنه أن يخلق العديد من المشاكل خاصة في مدينة مثل الجزائر كانت تعرف في هذه المرحلة تواجدا بشريا كبيرا. إذن، كيف حافظ الأندلسيون على هويتهم الثقافية في ظل هذا التنوع البشري الذي عرفته المدينة؟ بل هل هدف المهاجرون الأندلسيون فعلا للحفاظ على هويتهم؟

إن الدراسات الأندلسية الجزائرية على قلتها، كانت قد طرحت قضية اندماج الأندلسيين في مجتمع المدينة بشكل عابر، لكنه بطريقة ما كان محسوما لصالح المؤرخين الذين يعتبرون أن الأندلسيين كانوا غير مندمجين تماما في مجتمع المدينة، وهو الأمر الذي جعل هذه الفكرة تشيع ليس فقط في أوساط الباحثين وإنما أيضا بين الطلبة، فصار الأمر وكأنه حقيقة تاريخية مطلقة، وهو ما دفعنا إلى التساؤل حول حقيقة هذا الحكم التاريخي، فهل اندمج المهاجرون الأندلسيون في مجتمع مدينة الجزائر أم لا؟ وماهي حقيقة رفضهم لعملية الاندماج؟

1. الوجود الأندلسي في مدينة الجزائر:

يعود تاريخ التواجد الأندلسي في الجزائر إلى فترات سابقة لسقوط غرناطة سنة 1492م(أنظر م.1) ، وبالتالي فقد كان العنصر الأندلسي من العناصر الأساسية المكونة لمجتمع مدينة الجزائر(أنظر م.2)، وهذا شيء طبيعي في منطقة طالما عرفت هجرات بشرية مختلفة، خاصة بسبب عملية التبادل البشري التي كانت تحدث بين بلاد المغرب وبين الأندلس (Hess, 1968, p. 06).

أما خصوصية الهجرات اللاحقة بعد سقوط غرناطة فتعود إلى كون غرناطة هي آخر المعاقل الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية، يعني أن عملية العودة على الرغم من أنها كانت شبه مضمونة بالنسبة لهم، إلا أنها لن تكون من نفس الطرق التي كانوا يعتقدون أنها ستأتي منها، فبدلا من اعتمادهم على القوى الإسلامية التي كانت موجودة في داخل شبه الجزيرة، أصبحت أنظارهم منصبة إلى الخارج (موسى، 1994)، خاصة مع تركز القوة العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

أما الخصوصية الثانية فتعود إلى الأهمية العددية لهذه الهجرات، فعلى الرغم من عدم وجود أي إحصاء رسمي يحدد أعداد المهجرين الأندلسيين بدقة، إلا أن الكثير من المصادر وحتى المراجع اللاحقة أكدت على أن الذين هجروا من شبه الجزيرة الإيبيرية كانوا يمثلون جزء معتبرا من سكانها (Arigita, 2019, p. 02) (أنظر م.3).

هذا وقد كانت الجزائر العثمانية لاحقا، منطقة مستقبلة للهجرات الأندلسية كما كانت أيضا بالمصطلح المعاصر منطقة ترانزيت(منطقة مرور)، أي أن الأندلسيين كانوا يمرون بالمدينة من أجل الوصول إلى مناطق أخرى، حيث كان خير الدين بربروس بشكل خاص (أنظر م.4) ولاحقا العلج علي من القادة الذين حاولوا مساعدة الأندلسيين للخروج من شبه الجزيرة الإيبيرية وإيصالهم إلى الجزائر **(Hess, 1968, p. 13)** **(Llopis, 2018, pp. 73-76)**، من أجل الإستقرار بها ومن أجل مساعدتهم على التخلص من سلطة محاكم التفتيش الإسبانية(أنظر م.5) وقراراتها المجحفة في حقهم.

هذا وعلى الرغم من الآراء الكثيرة التي جاءت لتفسير سبب هذه المساعدات (أنظر م.6)، إلا أن النشاط الذي قامت به الدولة العثمانية في الحوض الغربي من البحر المتوسط مكن من استقدام أعداد معتبرة من الأندلسيين إلى بلاد المغرب بشكل عام وإلى إيالة الجزائر بشكل خاص، وكما قلنا سابقا، ليس هناك أي إحصائيات ثابتة تخص أعداد الأندلسيين القادمين إلى مدينة الجزائر أو إلى مدن الإيالة بشكل عام، والأمر ليس متعلقا فقط بالأندلسيين، بل إن أهم المشاكل التي تعاني منها الدراسات التاريخية في الجزائر هو عدم وجود أي إحصائيات ثابتة متعلقة بالسكان، إلا بعض الأرقام التي جاء بها الرحالة والأسرى الغربيون(أنظر م.7)، وهي شهادات غير موثوقة في أغلب الأحيان (أنظر م.8).

إن الحديث عن الأندلسيين بالجزائر في الفترة العثمانية، هو أمر يفرض علينا الحديث أولا عن التسمية، حيث توجد العديد من المصطلحات التي استعملت من طرف الباحثين للتعبير عن هذه الجماعة البشرية، إلا أننا

نميل إلى استعمال مصطلح "الأندلسيين"، والسبب في هذا يعود إلى كونه مصطلحا تشترك فيه كل الطوائف المكونة للمهاجرين من شبه الجزيرة الإيبيرية (أنظر م.9)، فعلى اختلاف التسميات الموجودة المصادر و المراجع المحلية(أنظر م.10) أو الغربية (**Haedo, 1870, p. 46**) (سعيدوني، 2013، صفحة 40)،لم يكن مصطلح "الموريسكيين" من بين المصطلحات التي تستعمل في الدراسات العربية المعاصرة خاصة، والسبب هو التفسير الذي أعطي لهذا المصطلح من طرف الباحثين العرب وحتى بعض الغربيين، والذي مفاده بأن هذا المصطلح يعني " صغار المسلمين " وذلك للحط من شأنهم (يحياوي، 2004، صفحة 39) (**Fuchs, 2001, p. 13**)، وبالتالي فقد تجنب المؤرخون العرب استعمال هذه التسمية، وحتى الذين استعملوها أعطوا لها طابعا عربيا، ونقصد بهذا الأستاذ "عادل سعيد بشتاوي"، في دراسته "الاندلسيون المواركة"، واستعماله لهذا المصطلح المعرب من المصطلح الأصلي "الموريسكيين"، يعود حسبه إلى أن مصطلح الموريسكيين يعطي الإنطباع بأنهم لا يمتون للعرب بصلة (بشتاوي، 1983، صفحة 06) (أنظر م.11).

وعلى اختلاف المصطلحات في الدراسات العربية والغربية كما قلنا، إلا إن المصطلح الذي أطلقه الأندلسيون على أنفسهم هو مصطلح " أندلس"، حيث نجده مذكور بشكل خاص في كتاب "أبو القاسم الحجري" المسمى " ناصر الدين على القوم الكافرين" (الحجري، الصفحات 24 –25)، بينما نجد أن بعض الوثائق الأرشيفية الجزائرية كانت تصر على تسميتهم "الأندلسيون" بشكل عام (مهمة دفتري رقم(23) صحيفة (121) حكم رقم (244)، 981هـ/1573م) (مهمة دفتري رقم(23) صحيفة (121) حكم رقم (244)، 981هـ/1573م) (حموش، 2000، صفحة 112)، ولم تذكر إلا في النادر أي مصطلح آخر يعبر عنهم (أنظر م.12).

2. **قضية الاندماج في الدراسات الأندلسية الجزائرية:**

إن الدراسات الأندلسية الجزائرية على قلتها، أصرت كلها تقريبا على فكرة واحدة مفادها أن الأندلسيين لطالما كانوا فئة غير مندمجة في المجتمع، والحقيقة أن هذه الفكرة المسبقة انتشرت بشكل واسع في كل الدراسات التاريخية التي تناولت المجتمع الجزائري في الفترة العثمانية، فمن أين أتت؟

أعتقد بشكل جازم أن أغلبية الدراسات الأندلسية الجزائرية استقت هذه المعلومة بشكل أساسي من كتاب "دراسات أندلسية" للأستاذ " ناصر الدين سعيدوني"، وبالضبط في مقال له يحمل عنوان " الجالية الأندلسية بالجزائر: مساهمتها العمرانية ونشاطها الإقتصادي ووضعها الإجتماعي"، وهذا المقال نشر في مجلة أوراق مدريد العدد 4 لسنة 1981م، حيث قال الأستاذ في الصفحة 24 ما يلي:*"...ويفسر هذا الإحساس اعتزازهم بأصولهم التي*

رأوا فيها نوعا من النبل والشرف مما جعلهم لا يميلون إلى الإختلاط مع غيرهم من السكان، وهذا ما جعلهم يحجمون عن التزاوج خارج جماعتهم" ، بل إن الأستاذ ذهب أبعد من هذا حين قال: *"...فالمرأة الأندلسية نادرا ما تتزوج من غير أندلسي ، إلا أذا اضطرها الفقر والحاجة إلى ذلك*" (سعيدوني، 2013، صفحة 24) ، وعندما نحاول إيجاد أي تفسير تاريخي لهذه المعلومة فإن الأستاذ لا يذكر من أين استقى هذه المعلومة، ولا ما هو أساس هذا الحكم منه ومن بقية الأساتذة بعده عندما تبنوا هذا الحكم التاريخي.

بعد البحث في الموضوع تأكد لنا أن الكلام الذي قاله الأستاذ " سعيدوني"، من أن المرأة الأندلسية كانت ترفض الزواج من غير الأندلسي، هو ليس تفسير خاص بالأستاذ كما كنا نعتقد في البداية، بل إن هذا الكلام بل والفكرة برمتها جاءت من أحد المصادر الغربية، فالكلام بالدرجة الأولى يعود إلى "بايصونال" (Peyssonnel)(أنظر م.13)، الذي كان قد قال هذه الجملة بالضبط في سياق كلامه عن الأندلسيين المقيمين في تونس ويبدو بأن كل من " براهيمي" و " سعيدوني" كانا قد أخذا عنه (Brahimi, 1970, p. 47) (أنظر م.14).

وعلى الرغم من أن الأستاذ " ناصر الدين سعيدوني" لم يكن الأول الذي طرح هذه الفكرة، حيث كانت قد سبقته الأستاذة " دينيز براهيمي"(Denise Brahimi) إلى طرح هذه القضية (أنظر م.15)، لكن الأمر الذي جعلنا نركز على الأستاذ " ناصر الدين سعيدوني"، هو أن تأثير كتابه – وانطلاقا منه رأيه – على الدراسات الأندلسية في الجزائر أكبر بكثير من تأثير رأي الأستاذة " براهيمي"، إذ أن أغلب الباحثين الذين تناولوا الموضوع لم يشيروا إلى عمل الأستاذة " براهيمي"، بينما كانت إشارتهم الأساسية للأستاذ "سعيدوني".

و منه فقد تتابع استعمال الفكرة من طرف بقية الباحثين لاحقا، فحينما نقرأ كتاب "دراسات أندلسية" الذي هو عبارة عن مجموعة من المقالات شارك بها الأستاذ "سعيدوني" في مختلف الملتقيات العلمية، يبدو لنا جليا أن الفكرة ليست قائمة على وثائق أرشيفية، إذ أننا لا نجد أي إشارة إلى هذه الوثائق في المقال السابق الذكر، ومع هذا فقد انساق أغلب الباحثين وراء هذا الحكم، لنجد مثلا أن الأستاذة " طيبي مهدية"، في رسالة الماجستير الخاصة بها الموسومة بـ" مقاربة للوضع الإجتماعي والإقتصادي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر القرن (17 – 18م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية"، التي نوقشت في جامعة الجزائر للسنة الجامعية 2008 – 2009م، كانت قد وصفت الأندلسيين بالإنغلاق الإجتماعي (طيبي، 2008–2009، صفحة 87)، وقد كانت نفسها قد نقلت بالتفصيل عن مقال للأستاذ "سعيدوني"، يحمل نفس العنوان السابق" الجالية الأندلسية في الجزائر"، كان قد نشر في مجلة الجندي الجزائرية سنة 1981م (سعيدوني، 1981، صفحة 50) (طيبي، 2008–2009، صفحة 88).

ولم تكن " مفيدة بن يوسف" هي الأخرى قد جاءت بعكس هذا الرأي، وذلك في دراستها الموسومة بـ "الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني (ق 16 – 17م)، ففي مذكرة الماجستير الخاصة بها التي نوقشت في السنة الدراسية (2010 /2011)، كانت أيضا ونقلا عن الأستاذ "سعيدوني" قد قالت بنفس الفكرة المؤكدة لعدم الاندماج (يوسف، 2010–2011، صفحة 131)، على الرغم من أن الفكرة الأساسية لرسالتها هي فكرة التأثير الحضاري، فكيف لفئة غير مندمجة أن تأثر في مجتمع بأكمله؟

ومما لفت نظرنا في عمل الأستاذة" بن يوسف"، أنها خلال حديثها عن عملية الإندماج لم تستشهد فقط بالأستاذ" سعيدوني"، لكنها أيضا كانت قد استشهدت بالأستاذ " محمد الطالبي " في مقاله المعنون بـ" الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين"، وهو الأمر الذي جعلنا نتساءل، هل كانت الظروف العامة للأندلسيين في الجزائر وتونس متشابهة؟ وهل كان الحكم الذي أطلقه الأستاذ " الطالبي" على الأندلسيين في تونس في الفترة الحفصية ينطبق على أندلسيي الجزائر في الفترة العثمانية؟ (أنظر م.16)

وبالتالي فقد انتشرت فكرة الإنغلاق هذه أو عدم الإندماج في الدراسات الأندلسية الجزائرية، وكل هذه الدراسات التي تبنت نفس الفكرة ارتكزت على ما يطلق عليه إسم الزواج الداخلي، لكن أليس بإمكاننا أن ننظر للأمر من زاوية أخرى؟

في 17 جويلية 1582م، أصدرت السلطات الإسبانية مرسوما يمنع الزواج الداخلي ضمن طائفة الموريسكيين (Hermosilla, 1995, p. 481) ، وسواء كان هذا المرسوم لاعتبارات دينية مسيحية أو بسبب دفع الموريسكيين الأندلسيين إلى الإندماج في المجتمع الإسباني، فإننا نستشف من خلال هذا الأمر، أن عملية الزواج الداخلي لم يمارسها الأندلسيين في مدينة الجزائر حصرا، فقط لأنهم رفضوا الإندماج في مجتمعها، وإنما هو أمر كان منتشرا بينهم سابقا، إضافة إلى هذا فإن الزواج داخل الطائفة أو داخل الجماعة لم يكن أمرا مقتصرا على الأندلسيين (Loualich, 2017, p. 91)دون غيرهم، فقد أثبتت الدراسات التي تناولت مختلف الطوائف في مجتمع المدينة في الفترة العثمانية أنه أيضا كان منتشرا بين أغلبها، بل وقد كان منتشرا أيضا حتى بين الطوائف المهنية نفسها أو حتى نفس الطبقة الإجتماعية (غطاس، 2000 – 2001، صفحة 427)، فلماذا ربط الأمر بالأندلسيين(أنظر م.17) خلافا لبقية الفئات المكونة للمجتمع الجزائري؟

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن فكرة زواج الأندلسية من غير الأندلسي " فقط بسبب الفقر" هو أمر نفته العديد من الوثائق وعقود الزواج المحفوظة في المركز الوطني للأرشيف، فقد أظهرت هذه الوثائق أن الطائفة الأندلسية كانت قد مارست الزواج الخارجي بشكل طبيعي، ولم يكن هناك أي عائق، بما أنه ليس هناك عائق ديني بطبيعة الحال، كما أثبتت الوثائق الأرشيفية أن الزواج الخارجي كان منتشرا بينهم (**Loualich, 2017, p. 109**).

لا يمكننا أن ننكر أن ممارسة الزواج الداخلي من أجل الحفاظ على الهوية، هو أمر مارسه الموريسكيون في إسبانيا لفترة طويلة(أنظر م.18)، حتى أن هناك من الباحثين من قال بأن هذا الأمر تواصل إلى غاية القرن التاسع عشر(أنظر م.19)، لكن في حالة مدينة الجزائر، لا نعتقد أنه كان هناك خطر فقدان لهويتهم الأمر الذي سيجعلهم يمارسون فيه الزواج الداخلي من أجل الحفاظ عليها، وهذا ما يدفعنا للتساؤل حول ماهية هذه الهوية التي تجعلهم متفردين في مجتمع يتشاركون معه الدين واللغة والكثير من الممارسات الإجتماعية؟ فإذا كان الأندلسيون يمارسون الزواج الداخلي من أجل الحفاظ على الهوية، فهل كانت بقية الفئات الإجتماعية تمارس الزواج الداخلي لنفس السبب؟

3. الهوية الموريسكية أو الهوية الأندلسية:

أغلب الدراسات التي تناولت الهوية الموريسكية كانت تركز بشكل أساسي على الهوية الموريسكية في ظل وجود سلطة تريد التخلص من باقي الهويات المخالفة لها (Lecerf, 2009) (Bouzineb, 1987) ، وهي الهوية الإسبانية المسيحية التي كانت تعتبر الدين كركيزة أساسية لها، وبالتالي فوجود نوع من المقاومة للحفاظ على الهوية الأندلسية هو أمر حدث لفترة طويلة كما سبق وقلنا، كما أن محاولات السلطات الإسبانية للتخلص من الإسلام في شبه جزيرة إيبيريا لم تطل الإسلام كدين فقط، بل طالت كل ما له علاقة به، وبالضبط طالت كل الأمور التي تميز الموريسكيون عن غيرهم، فقد لاحظنا من خلال المراسيم التي كان يصدرها الملوك الإسبان أنها لم تمنع فقط الممارسات الدينية ، بل منعت ايضا اللغة والملابس وغيرها (**Janer, p. 31**)، بل منعت حتى الرقص والغناء، بل إن الموريسكيون كانوا عرضة للموت فقط بسبب طريقة أكلهم، ببساطة الأمر كان يتعلق بهويتهم وليس فقط بدينهم، وهناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع الإختلاف بين الموريسكيين والمسيحيين (Alaoui, 2009).

ونستطيع أن نلمح جوانب من هذا الصراع من أجل حفاظ الأندلسيين على هويتهم على لسان أندلسيين الأول عاش في المغرب الأقصى فترة من الزمن وهو "أحمد بن القاسم الحجري"، في كتابه" ناصر الدين على القوم الكافرين"، أما المصدر الثاني فهو لعالم أندلسي آخر عاش في تونس، وهو "ابن عبد الرفيع الأندلسي"، في كتابه" الأنوار النبوية في آباء خير البرية"(أنظر م.20)، بينما تخلف أندلسيو الجزائر في الحديث عما أصابهم في بلاد الإسبان، أو ربما لم تصلنا كتاباتهم بعد.

وبالتالي، إذا كانت الهوية الموريسكية هي شيء يتميز به الموريسكيون عن غيرهم من الطوائف المشكلة للمجتمع الإسباني الذي كان يسعى للقضاء على تميزهم، فبالنسبة للأندلسيين المهجرين من شبه الجزيرة والذين استقروا في البلاد الإسلامية بما فيها مدينة الجزائر، لم يكن هناك أي داع لأن يشكلوا أي درع حماية لهويتهم في وجه المجتمع الذي يعيشون فيه، ببساطة لأنهم انتقلوا من بيئة معادية وهي المجتمع الإسباني المسيحي، إلى بيئة مؤيدة ومشابهة وهي مجتمع مدينة الجزائر، فلماذا سنتحدث عن هوية موريسكية إذا كانت الطائفة الأندلسية ليست أقلية بأي شكل من الأشكال؟ فهم مسلمون في مجتمع مسلم، ولم تكن اللغة التي يتحدثون بها باللغة الغريبة، إذا تحدثوا العربية فالمجتمع يتحدث العربية (أنظر م.21)، وإذا تحدثوا الإسبانية (Peyssonnel, 1987, p. 106)) **(Vincent, 2004)**، فلهجة (اللونغا فرانكا) (أنظر م.22) التي كانت سائدة في المدينة تحوي على الكثير من المصطلحات الإسبانية (Aziri, 2014) ، فهل من الممكن أن يكون المؤرخون هم الذين خلقوا هذه الهوة المتخيلة بين الأندلسيين وغيرهم من الطوائف المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر؟ أو أن العلاقة بين الأندلسيين وغيرهم من الطوائف الأخرى كانت فعلا غير مستقرة؟

4. السلطة العثمانية في الجزائر وإدماج الأندلسيين:

من المصطلحات التي نتبناها بشدة فيما يتعلق بالأندلسيين هو مصطلح " الإدماج الإجتماعي"، وفكرة الإدماج هنا تعني أنه كان هناك رغبة من الإدارة العثمانية في الجزائر بجعل الأندلسيين جزءا من هذا المجتمع، وذلك في المراحل الأولى من وجود أعداد كبيرة من الأندلسيين في المدينة، فكيف تم ذلك؟

أول مرحلة من مراحل الإدماج الإجتماعي كانت أساسا قد تمت تحت صورة الإدماج العمراني، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الخطوة المتمثلة في إسكان الأندلسيين، كانت قد جاءت بعدما اشتكى هؤلاء (أي الأندلسيين) للسلطان من سوء حالهم، وبالتالي فما كان من السلطان العثماني إلا أن خصص لهم مكانا للإقامة فيه، وهذا الأمر موضح في الفرمانات التي أرسلها السلطان العثماني لحكام الجزائر، والأمر يتعلق بفرمانين يعودان إلى

سنة واحدة وهي سنة 981هـ الموافق لـ 1573م، وقد جاء في الفرمانين ما يلي :"*وبناء عليه فإننا نأمر بإعطاء تلك المخصصات في حال توفرها إلى المستحقين من فقراء المسلمين من أهل العلم والقرآن، سواء كانوا من أعراب أو من أندلسيين أو غيرهم* " (مهمة دفتري رقم (23)، صحيفة (121)، حكم (244)) (حموش، 2000، الصفحات 112 –113)، والمخصصات يقصد بها هنا الأراضي العامة التي ينتفع بها الرعية بعد إذن السلطان، بينما طلب السلطان في الفرمان الثاني أن يعفى الأندلسيون من الضرائب التي كان يقدمها بقية الأهالي للسلطة العثمانية في الجزائر ، وذلك بقوله :"...*ويجب أيضا إعفاء الفقراء من كافة التكاليف لمدة ثلاث سنوات، وعليك بإسكانهم وحمايتهم طوال هذه الفترة*" (مهمة دفتري رقم (23)، صحيفة (139 – 140)، حكم رقم (284)) (حموش، 2000، الصفحات 114 –115).

إن فكرة إعطاء الأراضي وكذلك القيام بعملية الإسكان هي في نظرنا الطريقة التي تبنتها الإدارة العثمانية من أجل إدماج الأندلسيين في مجتمع المدينة، وسواء كان هذا الأمر مقصودا من طرف السلطان أم لا، فإن الأمر الأكيد هو أن هذا الأمر ساهم بشكل كبير في توطين الأندلسيين داخل المدينة.

إن الوثائق الأرشيفية السابقة لا تعطينا فقط الجانب الحسن من الأمر، أي عملية الإدماج العمراني إضافة إلى الإعفاء الضريبي، لكنها أيضا تعطينا جانبا آخر من القصة، يتمثل في كون تلك القرارات التي اتخذها السلطان كانت في الحقيقة استجابة للضغط الذي مارسه عليه الأندلسيون، بحيث أنهم اشتكوا إليه من كونهم يعانون الضيق والحاجة، وبالتالي فلم يكن بإمكانهم شراء أراضي داخل المدينة، كما أنهم أشاروا إلى أنه لم يكن بإمكانهم الإستفادة من الأراضي العامة التي كانت تذهب إلى الأهالي حصرا، فلماذا أراد الأندلسيون شراء أراضي داخل المدينة؟ ولماذا بالأصل أرادوا الإستفادة من هذه المساعدات؟ وأين كان يقيمون قبل هذا؟ وأصلا لماذا لجأ الأندلسيون إلى السلطان العثماني من أجل التدخل لصالحهم؟

هذه الأسئلة التي طرحناها هي أسئلة لا نملك لها إجابات نهائية، لكن هناك العديد من الفرضيات التي من الممكن أن تصير لاحقا حقائق تاريخية مع تكشف وثائق جديدة، أولا الفرمانين يعودان إلى سنة 1573م، وكانت هذه المرحلة قد عرفت العديد من الأحداث التاريخية التي كان من شأنها أن تزيد التوافد الأندلسي على المدينة، وهذه الأحداث تمثلت أولا في حرب البشارات الثانية التي كانت قد حدثت بين سنتي (1568 – 1571م) وكانت سببا في إفراغ قرى بكاملها من السكان (Vincent, Le Péril Morisque, 1993, p. 127)، والتي

انتهت هي الأخرى بالفشل، الأمر الذي ساهم في ارتفاع أعداد المهاجرين إلى بلاد المغرب بشكل عام ومن ضمنها الجزائر) أنظر م.23)، كما سبق وذكرنا.

أما الحدث الثاني الذي لا يقل أهمية عن الأول، فهو اندحار الأسطول العثماني في معركة ليبانت (Lépante) سنة 1571م (Yildirim, 2007, p. 533) (Klemen, 2012)، هذه الهزيمة التي تركت أثرا كبيرا في نفوس المسلمين والمسيحيين معا، فبينما كان الأندلسيون يرون الأمل والرجاء في الأسطول العثماني، جعلت هذه الهزيمة آمالهم في العودة إلى بلادهم تتضاءل شيئا فشيئا، كما أنها ساهمت بطريقة أخرى في رفع معنويات الإسبان المسيحيين الذين كانوا يعيشون خوفا رهيبا بسبب الأسطول العثماني والأساطيل المغاربية، وبالتالي فقد ساهمت هذه الهزيمة بشكل كبير في ارتفاع نسبة المهاجرين إلى البلاد المغاربية.

ومنه، انطلاقا من كل هذا، فمن الممكن أن يكون هؤلاء الذين اشتكوا للسلطان العثماني من سوء حالهم هم نفسهم المهاجرين الجدد الذين لم يجدوا أي مكان للإقامة فيه، على اعتبار أن مدينة الجزائر في هذه الفترة كانت قد عرفت ارتفاعا حادا في عدد السكان، ومنه فقد أصبحت المناطق الشاغرة والصالحة للسكن داخل المدينة جد محدودة، كما أن أثمان الأراضي كانت مرتفعة نظرا لذلك، ومع الظروف التي كان يمر بها الأندلسيون فلم يكن بإمكانهم شراء أراض داخل المدينة، خاصة وأن مدينة الجزائر كانت قد عرفت في هذه المرحلة توسعا عمرانيا كبيرا لم تشهده من قبل.

بالنسبة للفرضية الثانية والتي نجدها غير بعيدة عن الأولى بل هي مرتبطة بها أشد الإرتباط، فقد بنيناها أيضا انطلاقا من فرمانين آخرين وجههما السلطان العثماني لحاكم الجزائر بتاريخ 25 ربيع الأول 981 هـ/ 25 يوليو (جويلية) 1573م، وكانا يقضيان بضرورة إزالة كل المباني والبساتين الموجودة في أطراف القلعة (مهمة دفتري رقم (22)، ص 186 ، حكم (359)) (مهمة دفتري رقم (22)، ص 186 –187، حكم (360)، 981هـ/1573م) (بيات، 2019)، والقلعة هنا هي المدينة، وقد كان المقصد من هذا القرار هو حماية المدينة من أي هجوم محتمل، كان بإمكانه أن يستخدم هذه الأبنية الموجودة خارج سور المدينة كمتاريس للإحتماء بها، وبالتالي ستصبح المدينة عرضة للعدو، ومنه فإن فرضيتنا القائمة على هذين الفرمانين، تجعلنا نعتقد أن المهاجرين الأندلسيين كانوا من بين الذين ستهدم أراضيهم وأبنيتهم، وأنهم من الممكن أن يكونوا قد لجأوا قبل هذا إلى السلطة العثمانية في الجزائر من أجل تعويضهم لكن ذلك لم يحدث، فتوجهوا مباشرة إلى السلطان العثماني.(أنظر م.24)

لكن مما يلاحظ أن التواريخ التي أرسلت فيها هذه الفرمانات متقاربة جدا، فبينما كتب فرمان الهدم في 25 ربيع الأول 981هـ/ 25 جويلية 1573م، كان الفرمانين القاضيين بتوطين الأندلسيين وإعطائهم الأراضي مؤرخين بـ 19 و 28 جويلية من نفس السنة، وبالتالي فبإمكاننا الإستنتاج أن الشكوى التي وصلت للسلطان العثماني جاءت قبل هذا التاريخ.

وبالتالي فالنظرية الثانية أو الإحتمال الثاني غير وارد، على الأقل على ضوء المعلومات الحالية التي نملكها.

5. بين الإستقبال والاندماج:

قبل الإطلاع على عمل الأستاذة " ميسوم" كنا نشك في إمكانية أن يكون السبب الأساسي لهذه الرسائل والتظلمات التي كانت ترسل إلى السلطان العثماني هو عدم تمكن الأندلسيين من الإستقرار في المدينة بسبب الضغط السكاني الذي كانت تعانيه، إلى أن لفتت الأستاذة انتباهنا إلى أن هذه الرسائل هي الأخيرة في سلسلة من تظلمات كانت قد أرسلتها طائفة الأندلسيين الموجودين في مدينة الجزائر إلى الباب العالي، فالرسالة الأولى كانت مؤرخة بـ 28 جويلية 1571م (Missoum, 2003, p. 161) ، أي قبل سنتين من التواريخ المذكورة أعلاه، لكنها كانت مرسلة من طرف فئة محددة، وهي فئة العلماء الأندلسيين القادمين إلى المدينة والذين وجدوا أنفسهم فجأة من دون عمل، أو أن الأعمال التي كانت تتوفر لهم لم تكن في المستوى المطلوب، وعدم الإجابة عن الرسالة الأولى هو الأمر الذي دعاهم إلى إرسال رسائل أخرى، لكنها في المرتين الأخيريتين كانتا أكثر شمولا، بحيث أن الأمر لم يكن هذه المرة مقتصرا على العلماء، وإنما شمل كافة الأندلسيين بكل طوائفهم، وكلهم كانوا يشتكون عدم توظيفهم من طرف السلطات المحلية في المدينة لأنه كان ينظر إليهم على أنهم أجانب، وهو الأمر الذي جعلنا نطرح سؤالنا الأساسي بشكل مختلف قليلا، أي هل كان الأندلسيون هم الذين يرفضون الاندماج مع غيرهم، أم أن المجتمع هو الذي رفض اندماجهم فيه؟

وهذا الأمر بدوره يدفعنا إلى التساؤل، هل كانت سياسة التوطين أو ما أسميناها بالإدماج الإسكاني هي خطة من الإدارة العثمانية في الجزائر ومن ورائها السلطان العثماني من أجل إدماج الأندلسيين في مجتمع مدينة الجزائر الرافض لهم؟ وهل كانت خطة الإدماج تشمل فقط الجانب العمراني أو الإسكاني فقط؟

الكثير من الدراسات الحديثة التي تناولت الحياة الإجتماعية والإقتصادية في مدينة الجزائر في الفترة العثمانية، أكدت على أن العلاقة بين السلطة العثمانية في الجزائر وبين الأندلسيين كانت على أحسن ما يرام، فبينما ركزت الأستاذة " ميسوم" على الدور الذي لعبه الأندلسيون في دعم النشاط الحربي (أنظر م.25) الذي كانت تقوده

الجزائر ومن ورائها الدولة العثمانية ضد الدول الغربية وخاصة إسبانيا (Missoum, 2003, p. 159)، إضافة إلى دورهم في اقتصاد هذه المدينة (أنظر م.26)، كان تركيز الأستاذة " غطاس" على الدور الذي لعبه هؤلاء في الحياة الحضرية لمدينة الجزائر (غطاس، 2000 – 2001، الصفحات 100–101)، إذ كان لهم دور كبير في تسيير المدينة، وذلك من خلال وقوفهم على رأس العديد من المناصب الحضرية، فبينما كان العثمانيون يقومون بتسيير الدولة في الجانب السياسي، كانت المناصب الحضرية التي تسير المدينة بيد الأندلسيين وكان هذا بطبيعة الحال بدعم من السلطة العثمانية في الجزائر، وهذا يعني بأن السلطة الحضرية كانت بيد الأندلسيين، والدليل على هذا أن الأسر الأندلسية ظلت تتوارث مشيخة البلد فترة طويلة من الزمن، خاصة وأنه كان من العرف أن يعين شيخ البلد من الأهالي الأصليين، وكانت سلطته تمتد على الأهالي فقط (حموش، 1999، صفحة 134) (غطاس، 2000 – 2001، صفحة 97) (أنظر م.27).

إن الحديث عن ترأس الأسر الأندلسية لمشيخة البلد (أنظر م.28) هو أمر مهم جدا في نظرنا، فكما نعرف فإن هذا المنصب كان له أهمية كبرى في تسيير الحياة الحضرية للمدينة، وكان من الواجب توفر العديد من المميزات من أجل أن يتمكن الشخص من الحصول على هذا المنصب، وقد أكدت الأستاذة " غطاس" على أن طائفة الأندلسيين كانت الطائفة الأساسية التي تداولت عائلاتها منصب مشيخة البلد كما سبق وقلنا، لكن هل كان هذا الأمر برضى السكان أم لا هو الأمر الذي لا نعرفه.

الذي دفعنا إلى هذا القول هو تلك الفرمانات المتلاحقة من السلطان العثماني من أجل إعطاء الأندلسيين مناصب في الدولة، وهو الأمر الذي لم يكن يحدث بتاتا، خاصة فيما يتعلق بطائفة العلماء الذين أرسلوا الكثير من الشكاوى ابتداء من سنة 1571م كما سبق وقلنا بحجة أنهم لم يجدوا العمل المناسب لهم، وأن كل الاعمال التي كانت تتوفر هي أعمال وضيعة لا تتناسب مع مستواهم، فكيف استطاعت بعض العائلات الأندلسية الوصول إلى مشيخة البلد؟ أعتقد أنه بإمكاننا القول بأن هذا المنصب وغيره من المناصب الكبرى مثل وكالة الحبوس، هي مناصب وصل إليها الأندلسيون كنوع من الإسترضاء، أي أن هذه المناصب كانت عبارة عن طريقة تبناها السلطان العثماني وحكام مدينة الجزائر من أجل ترضيتهم وإقناعهم بالبقاء في المدينة.

لذلك فإن النتيجة التي بإمكاننا التوصل إليها هي أن الظروف التي كانت محيطة بقدوم الأندلسيين، والحالة العامة التي كانت تعيشها المدينة إضافة إلى الظروف السياسية والإجتماعية هي الأمور التي تحكمت في عملية اندماج الأندلسيين في مجتمع المدينة (أنظر م.29)، أي أن الأمر لم يكن متعلقا برفض الإندماج أو قبوله،

ففكرة الإنتقال إلى مكان هربا بالدين والنفس، بالضبط إلى مكان كان يعتبر بالنسبة لهم الأمل الوحيد المتبقي ثم تفاجأوا بوجود هذه المصاعب هو أمر من الممكن أن يكون قد جعل الأندلسيون يفكرون فيما إذا كانوا قد اتخذوا القرار الصحيح بلجوئهم إلى مدينة الجزائر، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا بإلحاح هو كيف استقبل الأهالي الأندلسيين الذين قدموا إلى مدينة الجزائر أو الإيالة بشكل عام؟

إن العداء التاريخي بين القوتين الإسبانية والجزائرية، كان قد خلق نوعا من الخوف المتبادل بين أهالي البلدين (أنظر م.30)، فبينما كان الإسبان يخافون بشدة من بحارة الجزائر، كان الجزائريون كذلك يرون في كل شخص مختلف عنهم خاصة إذا كان آتيا من إسبانيا، كأنه جاسوس للملك، ومن هنا كان هذا الخوف من الأندلسيين على اعتبار أنهم كانوا يشبهون الإسبان في كلامهم وحتى في ملابسهم (أنظر م.31)، على الرغم من أن هذا الأمر لم يكن مبررا لأحداث العنف التي رافقت الوجود الأندلسي في المنطقة في البداية، خاصة وأن الأحداث التي جرت في الأندلس كانت معروفة في كل العالم الإسلامي.

وبالتالي، فإن السؤال الأساسي الذي كان يجب أن تبدأ به الدراسات التي تتناول عملية اندماج الأندلسيين في مجتمع مدينة الجزائر، أو في غيرها من المناطق التي هاجروا إليها هو كيف كانت عملية الإستقبال؟ لماذا يجب علينا طرح هذا السؤال أولا، الإجابة بسيطة هي أن عملية الإستقبال هي التي كانت من شأنها خلق علامة فارقة في العلاقة المستقبلية بين المهاجرين الأندلسيين وبين الأهالي الأصليين.

الدراسات التي ركزت على فكرة أن المهاجرين الأندلسيين كانوا ينظرون بعين الترفع إلى الأهالي الأصليين، لم نجدها تذكر إلا لماما نظرة الأهالي الأصليين للأندلسيين، التي إضافة إلى أنها لم تدرس فهي أيضا تظل مجهولة إلا من خلال بعض الشذرات التي نستشفها من هنا وهناك، ولعل الكلام الذي قاله " ابن عبد الرفيع الأندلسي" في مصدره السابق الذكر، تؤكد على أن الاهالي الأصليين كانوا ينظرون بعين الإستصغار للمهاجرين، بل إنهم كانوا يتصيدون أخطائهم وكانوا يضعونهم دائما في خانة الشك، ليس فقط لأنهم كانوا يتحدثون اللغة العربية باللكنة الإسبانية أو ربما لا يتحدثونها بتاتا، وإنما أيضا لأنهم كانوا يلبسون مثل الإسبان، وهذا الأمر كان له أهميته الخاصة في عقلية تلك الفترة، فعملية التمييز بين الأهالي على حسب طريقة اللبس هو أمر كانت تتبناه السلطات من أجل التفريق بين طوائف المجتمع المختلفة (أنظر م.32)، ومن الممكن أن يكون هذا الأمر هو الذي جعل الأهالي يعتقدون أنهم مختلفين بسبب اللباس، هذه الأمور مجتمعة كانت قد خلقت في البداية سوء فهم بين الأهالي

الأصليين وبين الأندلسيين الفارين بدينهم من بطش محاكم التفتيش ليجدوا أنفسهم أمام محكمة جماعية أخرى وهي محكمة الأهالي الأصليين.

في الحقيقة توجد هناك العديد من الأحداث التي أثبت فيها الأهالي الأصليين عدم رضاهم على تواجد المهاجرين الأندلسيين، فإضافة إلى ما ذكر سابقا في الوثائق الأرشيفية من شكوى المهاجرين بأنهم لا يجدون أعمالا ولا يستفيدون من الأراضي الميرية لأنهم غرباء عن المدينة، هناك أيضا العديد من الأحداث التي ارتبطت باستقبال الأندلسيين المهاجرين خاصة في الفترة الأولى من قدومهم، من أوائل المصادر التي تحدثت عن الموضوع نجد " أحمد المقري التلمساني" في كتابه " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، حيث تحدث عن الهجوم الذي تعرض له الأندلسيون على يد القبائل المتواجدة في الغرب الجزائري (أنظر م.33)، بل إن الكلام الذي قاله يؤكد بأن الهجوم كان وحشيا إلى درجة كبيرة، بينما ذكرت الأستاذة " ميسوم" مصدرا آخر تحدث عن الفترة التي غاب فيها "خير الدين بربروس" عن المدينة، وحسب المصدر فإن ابن القاضي الذي كان حاكما للمدينة رفض استقبال الأندلسيين (أنظر م.34)، وهو الأمر الذي جعل خير الدين يرغب في العودة إلى المدينة بعدما طلب منه الأندلسيون المهاجرون المعونة من أجل إيجاد مكانا لهم فيها (أنظر م.35)، من جهتها ذكرت بعض المراجع هذا الأمر انطلاقا من " عزيز سامح إلتر" في كتابه " الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا" الذي أرخ لهذه الحادثة بسنة 1525م قائلا بأن " ابن القاضي" رفض دخول المهاجرين الأندلسيين وتخلى عنهم (إلتر، 1989، صفحة 84)، وصولا إلى " محمد رزوق"، الذي ذكر نفس الأمر في كتابه " الأندلسيون في بلاد المغرب"، لكن الخطأ الذي وقع فيه الأستاذ "رزوق" أنه أرخ لهذه الحادثة (أي حادثة الطرد) بسنة 1512م، قائلا أن القائد التركي (حسب كلامه هو) طرد الأندلسيين المهاجرين من المدينة (أنظر م.36)، لكننا نعلم أن المدينة في هذه الفترة لم تكن قد أصبحت تابعة للعثمانيين بعد.

6. الأندلسيون في الجزائر: طائفة تعيش الشتات

إن الدراسات التي تناولت تاريخ الأندلسيين في الجزائر في الفترة العثمانية كانت تنظر إليهم كما سبق وقلنا على أنهم طائفة منفصلة، وهذا الأمر جعل دراسة الممارسات التي كانت تقوم بها هذه الطائفة ممارسات شاذة إذا نظرنا إليها من جانب واحد فقط، فأن تنزع الأندلسيون من تاريخهم الطويل قبل وجودهم في مدينة الجزائر هو أمر جعل الكثير من سوء الفهم يدور حولهم، إذ أن الكثير من هذه الممارسات نستطيع بسهولة تفسيرها إذا ما بحثنا قليلا في المراحل السابقة لوجودهم في المدينة، وهو الأمر الذي يجعلنا نركز كثيرا على بعض الأحداث التي

عاشوها في إسبانيا بشكل خاص قبل هجرتهم إلى إيالة الجزائر، كما أننا مقتنعون بشدة أن تاريخ الأندلسيين الموجودين في مدينة الجزائر هو امتداد لتاريخهم في إسبانيا، فلا يمكن على هذا أن نحكم على سلوكياتهم ما لم ننظر إلى هذا التاريخ بشكل كامل.

وانطلاقا من هذا استعنا بعلم الإجتماع الذي يعتبر من العلوم المرتبطة ارتباطا وطيدا بالتاريخ (دوس، 2009، الصفحات 79–80) من أجل تفسير ظاهرة الشتات أو الديسابورا (وهو المصطلح الذي يشير إلى حركة انتقال السكان وتهجيهم قصريا) (Helly, 2006, p. 17)، التي كان الأندلسيون يعيشونها، فالمجتمعات التي تعيش في حالة دياسبورا كانت لها ممارساتها الخاصة، والتي وجدنا أنها فعلا تنطبق بشدة على الأندلسيين، حيث أن مجتمعات الشتات تحاول دوما خلق عالما خاصا بها في الاماكن التي انتقلت إليها، كما أنها تحاول دوما الحفاظ على هويتها الخاصة من خلال الحفاظ على لغتها ودينها وكذلك عاداتها (Bruneau, 2006) ، والحقيقة أن كل هذه العناصر كلها كانت موجودة عند الأندلسيين، صحيح أنهم في الجزائر كانوا يعيشون في وسط بقية الطوائف الإجتماعية، لكنهم في تونس كانوا يعيشون في مدنهم الخاصة ويحكمهم قانونهم الخاص **(Peyssonnel, 1987, pp. 106 -120)**.

نحن نعتقد أن رؤية الطائفة الاندلسية من خلال هذه الزاوية، أي زاوية مجتمعات الشتات وبشكل أعم من زاوية نظريات علم الإجتماع هو أمر سيمكننا من أن نتاول الموضوع بطريقة أخرى، كما أنه سيمكننا من تجنب الأحكام الجاهزة التي سبق وأطلقت ومازالت تطلق عليهم، بحيث أننا من خلال هذا بإمكاننا القول بأن التصرفات التي كان يقوم بها الأندلسيون في بداية تواجدهم ببلاد المغرب بشكل عام وإيالة الجزائر بشكل خاص، لم يكن بسبب احتقارهم للسكان كما أشيع عنهم وإنما هو تصرف تتصرفه كل الجماعات البشرية التي عاشت الشتات.

في نهاية هذا الطرح بإمكاننا القول بأن المهاجرين الأندلسيين كانوا طائفة من الطوائف المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر ولمجتمع بقية مدن الإيالة، وكونها طائفة متميزة بفضل تاريخها وبفضل علاقتها مع القوى الغربية، كانت كغيرها من الطوائف الأخرى لها ممارساتها الخاصة، لكن فكرة الحكم عليهم بعدم الإندماج في المجتمع طيلة الفترة العثمانية في المدينة هو أمر بعيد كل البعد بدليل أنه من النادر إيجاد أي ذكر لنسبة الأندلسي في القرن الثامن عشر (طوبال، 2013 – 2014) ، وهذا يفسر أن هؤلاء الأندلسيين ذابوا في مجتمع المدينة إلى درجة أنه لم يعد من المهم أبدا ذكر هذه النسبة (أنظر م.37)، فلو كانت هذه الطائفة لم تندمج لبقي ذكرهم إلى النهاية أي

على الأقل إلى بداية المرحلة الإستعمارية كما كان عليه الأمر مع بقية الطوائف التي كانت فعلا طوائف منغلقة على نفسها كطائفة المزابيين على سبيل المثال.

نحن نعتقد أن فكرة اندماج الأندلسيين في مجتمع مدينة الجزائر، كان قد تم بالتدريج إلى أن أصبحت هذه الطائفة جزءا من المجتمع غير منفصل عن سكان المدينة، بحيث لم يعد من السهل التفريق بينهم وبين البقية.

خاتمة

في النهاية بإمكاننا أن نستنتج من خلال هذا الطرح العديد من النقاط :

لقد كانت ممارسة الزواج الداخلي التي بنى عليها أغلب المؤرخين نظريتهم المتعلقة بعدم اندماج الأندلسيين، ممارسة لم تكن حكرا على الأندلسيين بل على الكثير من الطوائف الأخرى المشكلة لمجتمع مدينة الجزائر.

تبنت السلطات العثمانية في الجزائر العديد من الوسائل من أجل إدماج الأندلسيين في مجتمع المدينة، من ذلك على سبيل المثال إعفاءهم من الضرائب لمدة ثلاث سنوات.

إن وجود الأسر الأندلسية على رأس تسيير المدينة هو دليل على اندماج هذه الطائفة في المجتمع.

لقد كانت الطريقة التي تصرف بها الأندلسيون، وطريقة تعاملهم نابعة تنطبق تماما مع سلوك مجتمعات الشتات، وبالتالي فلم يكن سبب هذا السلوك هو ترفعهم على بقية الطوائف كما هو متداول في أغلب الدراسات المتعلقة بالموضوع.

ملاحظات

(1) بعدما سقطت الدويلات الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، لم تبق إلا غرناطة التي حوصرت من طرف الجيوش المسيحية، وعاشت مرحلة جد صعبة دفعت بها في النهارية إلى الإستسلام، ولعل هذه الحالة التي عاشها الأندلسيون نجدها موثقة بشكل واضح في كتاب " نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر"، هذا الكتاب الذي يعد المصدر الإسلامي الوحيد الذي يؤرخ لتلك الفترة، حيث كتب سنة 947هـ/1540م. . (مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، 2002)

(2) من المهم التأكيد على أن التواجد الأندلسي في المدينة يعود إلى فترات سابقة لسقوط غرناطة، وهناك بعض الدراسات التي تناولت هذه الهجرات الأولى بالدراسة. (محمد، 2013)

كما أنه توجد دراسة مهمة تناولت البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط. (خليفي، 2007 – 2008)

(3) تؤكد بعض الدراسات بأن قانون تهجير الموريسكيين الذي جاء في سنة 1609م، كان قد نتج عنه التهجير القسري لما يقارب 100/4 من السكان في شبه الجزيرة الإيبيرية فقط بسبب انتمائهم إلى الإسلام أو إلى أسر مسلمة، للتوضيح فإن هذه النسبة أي 100/4، تتمثل فقط في الهجرات التي كانت بعد 1609م، أي أن الهجرات الكبرى التي حدثت قبل هذا التاريخ غير مذكورة، هجرة 1492م، وهجرة 1501 _ 1502م، وكذلك الهجرات التي جاءت بعد الحرب الثانية 1571م، دون حساب باقي الهجرات التي كانت تتم بين الحين والآخر، وبالتالي على هذه الحال فإن النسبة الحقيقية أكبر من هذه بكثير.

(4) هناك الكثير من المعلومات المتعلقة بالرحلات التي قام بها خير الدين بربروس لإنقاذ الأندلسيين وإحضارهم إلى الجزائر، والحقيقة أن هذا النشاط كان قد بدأ قبل أن تصبح الجزائر إيالة عثمانية، فقد قام الإخوة بربروس باستقدام الاندلسيين منذ بداية تواجدهم في الجهة الغربية من البحر المتوسط، وهذا ما قاله خير الدين في مذكراته:"...لقد قمنا بحمل عدد كبير من المسلمين في السفن وإنقاذهم من أيدي الكفار"، وهناك العديد من الأمثلة المشابهة لهذا الكلام في مذكراته (مجهول، 2011، صفحة 54)

(5) بالنسبة للعلج علي، كانت هناك الكثير من الروايات المتعلقة باشتراكه في حرب البشارات الثانية، بل إن هناك بعض الدراسات التي أثبتت ضلوعه في هذه الحرب عن طريق جمع السلاح وكذلك جمع الجنود المتطوعين من أجل هذه الحرب، وهذه الدراسات أظهرت العديد من الوثائق والتقارير المتعلقة بهذا الموضوع (Hess, 1968, p. 13).

والحقيقة أن العلاقة المحتملة بين الموريسكيين في إسبانيا وبين العثمانيين أو عثمانيي الجزائر بشكل خاص، كانت من أكثر الأمور التي ركزت عليها بعض الدراسات الغربية خاصة بالاستناد إلى حالة الخوف والهلع المستمرين التي كان يعيشها الإسبان من عودة المسلمين. (Llopis, 2018, pp. 1–4).

(6) لقد كان هناك بعض الباحثين الذين رأوا أن المساعدات التي قدمها العلج علي كانت في الحقيقة مساعدات فاترة، ولم تكن بمستوى إيالة الجزائر أي أنه في نظرهم لم يكن يرد أن يساعد الأندلسيين في الحقيقة بل كان همه

الوحيد هو تحصين مدينته، وأنه كان يهدف من وراء هذه الثورة إلى تحقيق مصالحه الخاصة التي تمثلت بتوسيع إيالته من خلال فتح تونس (رزوق، صفحة 85).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه التفسيرات هي تفسيرات متحاملة ضد العلج علي، وليس فقط هو بل كانت متحاملة ضد الحكم العثماني في الجزائر لأنها في الحقيقة لم تأت من دراسة وثائق تاريخية وإنما فقط من تفسيرات شخصية لاحظنا أنها تنافي الحقائق التاريخية أكثر من مرة وسنظهر هذا لاحقا في موضع آخر.

(7) العديد من المصادر الغربية تحدثت عن الأندلسيين، لكن لعل أهم مصدر اعتمدت عليه البحوث التي تتناول الأندلسيين بالدراسة هو مصدر " هايدو" " طوبوغرافية مدينة الجزائر"، فإضافة إلى أن هايدو كان قد تحدث عن الأعداد التقريبية للمهاجرين الأندلسيين الموجودة في المدينة، اعتمد عليه الباحثين لأنه تحدث بشكل أساسي عن العداء الذي كان يكنه هؤلاء لإسبانيا، وهو الأمر الذي ركزت عليه الدراسات اللاحقة على أساس أن عمليات الجهاد البحري التي كانت تحدث في البحر المتوسط هي بسبب الأندلسيين المهاجرين، الذين قدر هايدو عددهم في تلك لفترة بحوالي 100 منزل (Haedo, 1870, p. 46).

(8) الأمر الذي جعلنا نقول بأن الأعداد التي ذكرت لم تكن موثوقة هو أن كل من الأسرى والرحالة الغربيون، لم يكونوا مطلعين بشكل جيد على ما يوجد داخل البيوت، وأغلبية الأرقام التي طرحوها هي في الأساس أرقام تقريبية فقط.

(9) إن الحديث عن كون الأندلسيين هو مصطلح شامل لكل الفئات السكانية القادمة من الأندلس والمستقرة في بلاد المغرب بشكل عام ومدينة الجزائر بشكل خاص، هو أمر يدفعنا إلى الإشارة إلى أن هذا اللقب لا يخص المسلمين الأندلسيين فقط، بل ويخص اليهود الأندلسيين أيضا، وهذه النظرة تفتقد لها الدراسات الأندلسية في الجزائر، بحيث أن مصطلح الأندلسيين أصبح حكرا على المسلمين فقط دون غيرهم، ومن النادر أن نجد الإشارة إلى اليهود عندما تكون الدراسة متعلقة بالأندلسيين أو ربما لم توجد أصلا، فالأندلسيين في الدراسات التاريخية الجزائرية الحديثة هم مسلمو الديانة دون غيرهم.

(10) من المصطلحات التي ارتبطت بأندلسيي مدينة الجزائر نجد مصطلح الثغريون، وهو المصطلح الذي كان مرتبطا بشكل أساسي بهذه المدينة، بالتالي فالثغري أو (Tagarin) له علاقة وطيدة بهذه الطائفة المهجرة من الأندلسيين، الذين سكنوا في حي محدد (حي خارجي) في باب جديد (مدينة الجزائر)، وهذا اللقب يعود إلى أراضيهم الموجودة في الجهة الشمالية من إسبانيا لاحقا، على طول ممالك أراغون بلنسية و قشتالة (Chergui,

(2009, p. 304). وعلى الأرجح فإن المصطلح مشتق من الكلمة العربية " الثغر"، والتي تعني كل موقع قريب من أرض العدو، وهي المواضع الخطيرة من الحدود والتي يتسنى للعدو التسلل منها بسهولة إلى أرض عدوه (منظور، صفحة 103).

(11) أما بالنسبة للجزائر، فهناك أيضا من الباحثين من استعمل المصطلح نفسه أي "المواركة"، وهو الأستاذ "عبد القادر الميلق " في مقاله. (الميلق، 2018).

(12) نجد أولا مصطلح " مدخل" في الوثيقة الأولى (مهمة دفتري رقم(23) صحيفة (121) حكم رقم (244)، 981هـ/1573م) ،كما نجد في وثيقة أخرى مصطلح "مدجل" (مهمة دفتري رقم (23)، صحيفة (139 – 140)، حكم رقم (284))، والتفسير المنطقي الوحيد يجعلنا نعتقد بأن كلمة " مدجل" تعني " المدجنين" وهي الكلمة المعربة لمصطلح " الموديخار"، وبالتالي من الممكن أن تكون الكلمة متداولة في تلك المرحلة، وهي الكلمة التي تشير أيضا إلى المهاجرين الأندلسيين.

(13) **بايصونال (Peyssonnel)** : هو طبيب من مارسيليا، كان في الثلاثون من عمره حينما قام برحلة علمية إلى بلاد المغرب بهدف دراسة المرجان، وكان ذلك بين سنتي 1724 و 1725م. (Brahimi, 1978, p. 131)

(14) لكن الأمر الذي أغفله في الحقيقة كل من " براهيمي" و "سعيدوني"، أن " بايصونال " نفسه في موضع آخر كان قد أكد بأن الزواج الداخلي هو أمر كان منتشرا بين العرب (لنلاحظ هنا أنه قال العرب وليس الأندلسيين)، وأن المرأة كانت دوما تتزوج ابن عمها وهذا يعد قانونا في تلك المجتمعات ، وبإمكاننا أن ننقل ما قاله بشكل حرفي:

« C’est un espèce de loi ou de coutume chez les Arabes d’épouser leurs cousines-germaines, les filles même ne peuvent point de marier à d’autres » (Peyssonnel, 1987, p. 137)

فإذا نظرنا إلى الأمر من هذا المنطلق، وإذا أخذنا بنفس المصدر الذي أخذ به الأستاذين " براهيمي" و " سعيدوني"، فبالتالي بإمكاننا القول انطلاقا من ذلك بأن زواج الأندلسيين الداخلي سواء داخل الجماعة أو ضمن الأسرة الواحدة، هو أمر عادي في مجتمع تلك الفترة، وليس خاصا بالأندلسيين دون غيرهم.

(15) لقد أكدت الأستاذة " دينيز براهيمي" في مقالها على أن الأندلسيون الذين جاؤوا إلى بلاد المغرب لم يكونوا اجتماعيين، والكلام الذي قالته هو كالتالي *:"...لقد كان من الواضح جدا ملاحظة بأن الأندلسيين المسلمين الذين طردوا من إسبانيا من طرف الملوك الكاثوليك، كانوا أقل اختلاطا مع إخوانهم في الدين حينما جاؤوا إلى البلاد المغاربية ...*"، لكن تجدر الإشارة هنا، إلى أن الأستاذة "براهيمي"، لم تكن بصدد ذكر رأيها الخاص في الموضوع، خاصة وأننا لا نعلم أنها كانت متخصصة في الموضوع، كل الذي فعلته الأستاذة هنا، أنها كانت تتحدث عن الأندلسيين في المصادر الغربية التي تعود إلى القرن 18م، وهذا هو عنوان مقالها على أية حال، بحيث أننا لا يمكن أن نتهمها بأنها أطلقت حكما تاريخيا، بل كانت فقط ناقلة للحكم التاريخي الذي كان صاحبه هو " بايصونال (Brahimi, Quelques jugement sur les Maures andalous dans les régence turques au 18 ème siècle, 1970, p. 46).

(16) للأمانة العلمية، تجدر الإشارة هنا إلى أن الأستاذة " مفيدة بن يوسف"، كانت قد استعملت مرجعا آخر إضافة إلى الأستاذ " سعيدوني" ، وهذا المرجع يؤيد نفس الفكرة، وهذا المرجع يتعلق في الحقيقة بأندلسيي تونس، وهذا المرجع هو مقال للأستاذ " محمد الطالبي" يحمل عنوان " الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين"، فإضافة إلى كون المرجع يتناول فترة زمنية سابقة للفترة العثمانية، وهو الأمر الذي يجعلنا نعتقد هنا أنه حتى المقارنة غير ممكنة على اعتبار أنه لكل فترة تاريخية خواصها، فإذا كان هناك أي مقارنة كان يجب أن تكون لمنطقتين مختلفتين (الجزائر، تونس)، لكن في فترة تاريخية واحدة (الفترة العثمانية)، هذا أولا، وثانيا لقد بدا واضحا من خلال قراءتنا للمقال، أن الأستاذ كان متحاملا جدا على الأندلسيين، ويتضح ذلك مثلا في الصفحة 64، حيث قال التالي *:"...لقد حمل الأندلسيون في حقائبهم المرض الذي ماتت به الأندلس فزادوا إفريقية – في المستوى السياسي – مرضا على مرض*"، ومن جهة أخرى فحتى كلامه عن عدم اندماج الأندلسيين(ص78) كان عبارة عن تفسير شخصي دون أي سند تاريخي يدعمه (الطالبي، 1976، الصفحات 64 –78).

أعتقد أنه بنظرة واحدة إلى الكلام الذي قاله " بايصونال" في كتابه عن الأندلسيين في تونس، بإمكاننا أن نفهم أنهم كانوا يعيشون في ظروف مختلفة عما كان عليه الأمر في الجزائر، فإضافة إلى كونهم كانوا يعيشون في مدن منفصلة (مثل زغوان وتستور وسليمان) كانت الأغلبية السكانية فيها من الأندلسيين، فهم أيضا كانوا يمارسون نوع من الحكم شبه المطلق على تلك المدن (Brahimi, 1970, pp. 45–46) . (Peyssonnel, 1987, pp. 106 –120)

وبالتالي من خلال هذا، نحن نعتقد أنه من غير الممكن أن تطلق نفس الأحكام على الأندلسيين في الجزائر وتونس، على اعتبار أنهم لم يكونوا يعيشون نفس الظروف كما سبق وقلنا.

(17) إن الزواج من الأقارب (خاصة الأقارب من الدرجة الأولى)، يبقى القاعدة الأساسية التي يستند عليها الزواج، وهذا الأمر يعود لمنطق واحد يتبناه المجتمع هو أن الزواج الأفضل للمرأة هو الذي يتم مع ابن خالها أو ابن عمها (Loualich, 2017, p. 91).

(18) لقد كان هذا الأمر حديث المجالس القضائية والدينية في إسبانيا، فمثلا في 7 ديسمبر 1526م، عقد المجلس العسكري في غرناطة من أجل دراسة هذه القضية المتمثلة في زواج الموريسكيين زواجا داخليا، وهو الذي سماها المجلس بالعلاقات المحرمة (Hermosilla, 1995, p. 481).

(19) بعض المراجع وانطلاقا من الوثائق التي وجدتها، تحدثت عن تواصل هذه الممارسة بين الموريسكيين الذين حسب قولهم تواصل وجودهم في إسبانيا إلى غاية القرن التاسع عشر، حيث بقيت بعض الأسر الأندلسية الغرناطية تمارس الزواج الداخلي، وتواصل وجودها السري في إسبانيا (Arigita, 2019, p. 06).

(20) هو كتاب كتب في تونس سنة 1644م، توجد نسخة منه في مكتبة الرباط تحت رقم 1283، ويوجد بهذا الكتاب فصل خاص بأحوال الموريسكيين، نقل هذا الفصل بتصرف الشاعر المغربي " محمد بوجندار" في كتابه مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح. أنظر : (بوجندار، 2012، الصفحات 115-121)

(21) لقد أكد الكلام الذي قاله " أبو القاسم الحجري" في كتابه " ناصر الدين على القوم الكافرين أن هناك الكثير من الموريسكيين قد تعلموا اللغة العربية على يدي أهاليهم، وكان هو واحد من الذين كانوا يعرفون اللغة العربية ، حيث قال :"*...وأخرج لي كتبا بالعربية، فقرأت وترجمت له بعض الكلمات التي كان يتوقف فيها ...*" (الحجري، صفحة 18).

(22) **اللونغا فرانكا(Langua Franca)**: وهي الخليط اللغوي المتكون من العربية والتركية والإسبانية، وغيرها من لغات البحر الأبيض المتوسط، وقد كانت هذه هي اللهجة التي يتحدث بها سكان مدينة الجزائر في الفترة العثمانية خاصة البحارة منهم .

هناك من يعرفها في " فقه اللغة"، بانها اللغة التي تجمع العديد من الأشخاص الذين لا يملكون نفس اللغة الأم على قول " J.Jenkins " " A Lingua Franca is a contact language used among people who do

not share a first language "، وطالما كان هناك هذا النوع من اللهجات في مختلف المناطق من العالم على مر الزمان (Dervin, 2008, p. 142).

لقد قامت " جوسلين داخلية" (Jocelyne Dakhlia) بدراسة عن الموضوع بعنوان Lingua Franca.Histoire d'une langue métisse en Méditerranée، وقد ظهر الكتاب في 591 صفحة سنة 2008، عن دار نشر Actes Sud ، هناك الكثير من المقالات التي قدمت للكتاب وناقشته، للمزيد من المعلومات حوله (Vingner, 2010).

(23) لقد لعبت حرب البشارات دورا هاما في تاريخ الموريسكيين، ليس فقط لأنها ضاعفت أعداد الاندلسيين المهاجرين، بل كان لها دور هام في رسم العلاقات بين الموريسكيين والمسيحيين، حيث أنها أظهرت أنه على الرغم من مرور تقريبا قرن على سقوط غرناطة إلا أن الموريسكيون لم ينسوا أصولهم وأنه كان بإمكانهم النهوض والثورة في أي وقت (Cologne, 1970, p. 137).

(24) الأمر الذي أكد لنا في البداية صدق النظرية السابقة هو الكلام الذي قاله " هايدو" من أنه كان يوجد في تلك المنطقة حوالي 1500 مسكن، وأنه في سنة 1573م، قام " أحمد أعراب باشا" بالتخلص من هذه المنازل **(Haedo, 1870, p. 40)**.

وهذا الأمر يقودنا إلى اعتبار أن هذا المنطقة كانت قبل هذه السنة (1573م) كانت ضاحية من الضواحي، على الرغم من أن " ريمون" كان قد أكد على أن مدينة الجزائر كانت مختلفة عن بقية المدن العربية الأخرى في الفترة العثمانية بعدم احتوائها على الضواحي (ريمون، 1991، صفحة 151)، والأمر الذي يدعم نظريتنا السابقة هو تعريفه للضاحية بأنها عبارة عن توسع سكاني خارج أسوار المدينة، وترتبط كذلك بوصول عناصر عرقية ودينية جديدة أقامت بالقرب من المدينة ولكن خارج أسوارها (ريمون، 1991، صفحة 148).

(25) الكثير من المؤرخين الغربيين تحدثوا كثيرا وبإسهاب عن الدور الذي لعبه المهاجرون الأندلسيون في دعم النشاط الحربي وعملية الجهاد التي كانت تقودها الدولة العثمانية ضد إسبانيا، على سبيل المثال نجد " أندرو هس"(Andrew Hess)، في مقاله السابق الذكر يقول *:"... لقد كانوا متشجعين بالجهاد المقدس، وكذلك بمشاعر الإنتقام، أصبحوا قراصنة وقاموا بالمشاركة في العديد من الهجمات التي شنت على سواحل إسبانيا انطلاقا من فترة حكم شارلكان إلى غاية القرن السابع عشر*" (Hess, 1968, p. 07).

الحقيقة أن الكلام الذي قاله هذا الباحث هو مثال بسيط، لأن هناك الكثير من الدراسات التي تبنت نفس الرؤية، ويبدو بأن "هايدو" يعد من المصادر الأساسية الأولى التي تناولت الموضوع، إذ كان من الأوائل الذي أشاروا إلى أن الهجمات العثمانية على السواحل الإسبانية كانت قد ارتفعت بشكل كبير بعس سقوط غرناطة 1492م، وقدوم المهاجرين الأندلسيين إلى المنطقة (Haedo, 1870, p. 19).

وفي موضع آخر كان قد قال بأن الذين يقومون بأعمال صيانة السفن كانوا من المسلمين القادمين من إسبانيا، بل إن الكثير من السفن كانت ملكا لهم (Haedo, 1870, p. 87).

(26) لقد كانت " براهيمي" قد ركزت الدور الذي لعبه " الثغريون" خاصة فيما يتعلق بتجارة الأسرى، التي كانت تدر عليهم الكثير من الأموال، والتي بفضلها– في رأيها تمكنوا من تبوء مكانة اجتماعية مهمة في مجتمع مدينة الجزائر خاصة، ونفس الأمر لفت انتباه الأستاذة "ميسوم" أيضا، حيث كانت تعتبرهم هي الأخرى زعماء المضاربات المالية (Missoum, 2003, p. 166) (Brahimi, 1970, p. 43).

(27) أعتقد أننا هنا أمام نقطة هامة جدا، ففكرة أن يكون شيخ البلد من الأندلسيين، أو أهم من ذلك أن تتوارث العائلات الأندلسية هذا المنصب الهام هو أمر يدعونا إلى التساؤل إلى أي درجة كان التواجد الأندلسي في مدينة الجزائر طبيعيا، وإلى أي درجة كان الأندلسيون يعدون جزءا أساسي غير منفصل في مجتمع مدينة الجزائر حتى يصير هذا المنصب لهم؟

(28) من العائلات التي تولت منصب مشيخة البلد نجد : عائلة ابن التمام ، ابن الطبال، ابن عاشير، بوضربة وهي كلها عائلات أندلسية (غطاس، 2000 – 2001، الصفحات 100–101).

(29) تجدر الإشارة هنا، إلى أن الأستاذ " بن حموش"، كان قد تحدث عن السياسة التي تبنتها الإدارة العثمانية من أجل إدماج الأندلسيين، بحيث أسماها هو " سياسة التوطين"، رغم أننا نتحفظ من استعمال مصطلح التوطين، ولكن يجب التنويه إلى أن الأستاذ قام بدراسة قضية التواجد الأندلسي في الجزائر في الفترة العثمانية بشكل معمق. (حموش، 1999، الصفحات 120–121)

(30) لم يكن هناك أي اتصال خارجي للمناطق الداخلية أو الريفية في الإيالات المغاربية، وبالتالي فقد حافظ الأهالي على النظرة العامة عن كون أي أجنبي أوروبي هو عدو، وعلى الرغم من تواجد العديد من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا المنطقة في الفترة العثمانية، إلا أن قليلون هم الذين تمكنوا من الذهاب بعيدا عن المدن الساحلية، مثل " هابنسترايت" بالنسبة لإيالة الجزائر، و" بايصونال" بالنسبة لإيالة تونس، وقد شهد هذا الأخير على

أن الأهالي في الأرياف لم يكونوا يفرقون بين الأوروبيين إذ كانوا بالنسبة لهم فقط " مسيحيين" (Peyssonnel, 1987, p. 129).

(31) في حديثها عن الأندلسيين، كانت المصادر الغربية مثل بايصونال – في العديد من المواضع– تشبه الأندلسيين المهاجرين بالإسبان، سواء في طريقة لبسهم، أو مأكولاتهم أو حتى صفاتهم (مثلا الصفحات :121، 122) وهذا الأمر من الممكن أن يكون مفهوما إذا رأينا بأنهم إضافة إلى كون أصولهم تعود إلى تلك المنطقة، سيكون من العادي أن يشببهم بهم بما أنه كأوروبي سبق وعرف الإسبان، لكن الغريب في الأمر هو أن هذه النظرة " أي كونهم يشبهون الإسبان"، في الحقيقة لم تكن موجودة في إسبانيا بل بالعكس، لقد كان " الأندلسيون " بالنسبة لهم عبارة عن عرب، وكل الممارسات التي كانوا يقومون بها هي ممارسات عربية، بالتالي لقد طرد " الموريسكيون" من إسبانيا لأنهم عرب، وشكك في أمرهم في بلاد المغرب لأنهم يشبهون الإسبان.

(32) بإمكاننا ببساطة أن نرى بأن اليهود في مجتمع المدينة لم يكونوا يرتدون نفس الألوان التي يرتديها بقية الأهالي، فقد أكد هايدو بأنهم كانوا يلتزمون باللونين الأبيض والأسود (Haedo, 1870, p. 110).

(33) يقول المقري: "*..فخرجت ألوف بفاس، وألوف أخر بتلمسان من وهران، وجمهورهم خرج بتونس، فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات، ونهبوا أموالهم، وهذا ببلاد تلمسان وفاس، ونجا القليل من هذه المعرة* (هكذا)" (المقري، 1988، صفحة 528).

(34) تحدثت الأستاذة ميسوم عن مخطوط يعود لشخص يسمى "أحمد بن يوسف"، محفوظ في أرشيف توب كابي، جاء فيه التالي ."*...الموديخار الذين أحضرهم الأتراك من سواحل إسبانيا لم يسمح لهم ابن القاضي بدخول المدينة التي هو حاكم عليها، وهو الأمر الذي جعل الأندلسيين يتوجهون إلى جيجل حيث وجد خير الدين يطلبون معونته، وهو الأمر الذي جعله يعود إلى مدينة الجزائر...* " (Missoum, 2003, p. 158).

(35) على الرغم أنه بإمكاننا أن نستشف هنا بعض المبالغة في الأمر، المبالغة في الحقيقة ليست في طرد ابن القاضي للأندلسيين من المدينة، وهو الأمر الذي ذكرته مصادر الأخرى، المبالغة هنا تعود في كون هذا الأمر هو السبب الذي جعل خير الدين يعود إلى مدينة الجزائر، من الممكن أن يكون واحدا من الأسباب، لكنه ليس السبب الأساسي.

(36) يقول محمد رزوق ما يلي :" *...في مدينة الجزائر بعد وصول الموريسكيين بقليل سنة 1512 م ، حل بها جفاف خطير وحمل الموريسكيون مسؤوليته فصدر الأمر من عميد الشرطة التركي بطردهم من المدينة في ثلاثة*

أيام ، وطبق هذا القرار بصرامة حتى أن المرضى والفقراء الذين لم يستطيعوا الخروج قتلوا عنوة..." (رزوق، صفحة 132)

أولا، لنتفق على أن الحدث الذي يتحدث عنه الأستاذ رزوق لا يمكن أن يكون سنة 1512 م، لأن مدينة الجزائر ببساطة لم تكن في تلك الفترة تحت الحكم " التركي " كما يسميه هو، إذا أنها لم تدخل بعد تحت الحكم العثماني، وحتى إذا رأينا أن هناك خطأ مطبعي وأن المقصود هو سنة 1521م ، لكن أيضا في هذه المرحلة كانت الجزائر تحت حكم ابن القاضي، بينما كان خير الدين بربروس موجودا في جيجل.

أما إذا كان يقصد قصة ابن القاضي مع الأندلسيين فهي تعود إلى سنة 1525 م، ولا علاقة للقائد التركي بالأمر، فالمسؤول عن القضية هنا ليس القائد التركي حسبه وإنما ابن القاضي، وهذا دليل واحد من الأدلة الأخرى التي رأينا فيها أن " رزوق" كان متحاملا جدا على العثمانيين أو كما يسميهم هو " الأتراك".

وتجدر الملاحظة أن بعض الباحثين الجزائريين للأسف أخذوا هذه المعلومة واستعملوها في دراستهم (يوسف، 2010–2011، صفحة 58).

(37) يبدو أن أول من أشار إلى هذا الموضوع هو " تال شوفال" (Tal Shuval)، حي أكد أن الأندلسيين في القرن الثامن عشر كانوا قد بلغوا ذروة اندماجهم في مجتمع المدينة (Shuval, 2002, p. 108).

قائمة المراجع باللغة العربية

- مهمة دفتري رقم (22)، ص 186 –187، حكم (360). (981هـ/1573م).
- مهمة دفتري رقم(23) صحيفة (121) حكم رقم (244). (981هـ/1573م).
- مهمة دفتري رقم (23)، صحيفة (139 – 140)، حكم رقم (284). (بلا تاريخ).
- الحجري، أحمد بن القاسم، (بلا تاريخ)، ناصر الدين على القوم الكافرين، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية والوكالة الإسبانية للتعاون الدولي.
- المقري، أحمد بن محمد، (1988)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (المجلد 4)، دار صادر، لبنان.
- ابن منظور، جمال الدين، (بلا تاريخ)، لسان العرب (المجلد 3)، دار صادر، لبنان.
- إلتر، عزيز سامح ، (1989)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، دار النهضة العربية، لبنان.

- بوجندار، محمد، (2012)، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية.
- بشتاوي، عادل سعيد، (1983)، الأندلسيون المواركة، مطابع أنترناشيونال برس، مصر.
- بيات، فاضل، (2019)، البلاد العربية في الوثائق العثمانية: ولاية الجزائر في القرن العاشر هجري / السادس عشر الميلادي، منظمة التعاون الإسلامي و مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، تركيا.
- بن حموش، مصطفى أحمد، (1999)، المدينة والسلطة في الإسلام: نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر، الجزائر.
- بن حموش، مصطفى أحمد، (2000)، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (956 هـ/1549م – 1246هـ/1830م) من واقع الأوامر السلطانية وعقود المحاكم الشرعية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث.
- يحياوي، جمال، (2004)، سقوط غرناطة و مأساة الأندلسيين (1492 – 1640م)، دار هومة، الجزائر.
- خليفي، رفيق، (2007 – 2008)، البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9هـ، مذكرة مقدمة ليل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر.
- غطاس، عائشة، (2000 – 2001)، الحرف والحرفيين بمدينة الجزائر 1700 – 1830م : مقاربة إجتماعية – إقتصادية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، الجزائر.
- الميلق عبد القادر، (2018)، الأندلسيون المواركة وحضورهم في الصناعة البحرية بالجزائر في العهد العثماني، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، 09(01)، (9 –28).
- كرير، علي أحمد، (2013)، الأندلسيون وتأثيراتهم على بلاد المغربي الأدنى والأوسط في القرنين 13 و 14م، ليبيا.

- سيدي محمد، عمارة، (2013)، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 7هـ/13م ودورهم الثقافي، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، الجزائر.
- دوس، فرانسوا ، (2009)، التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
- مجهول، (2002)، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
- مجهول، (2011)، مذكرات خير الدين بربروس، دار الأصالة، الجزائر.
- الطالبي، محمد، (1976)، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة(26)، الصفحات 64 -78.
- عقيل، موسى محمد بن حسن، (بلا تاريخ)، استجابات إسلامية لصرخات أندلسية، دار الاندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية.
- رزوق، محمد، (بلا تاريخ)، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 -17 م، منشورات إفريقيا الشرق، المملكة العربية السعودية.
- ريمون، أندريه، (1991)، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية.
- بن يوسف، مفيدة، (2010-2011)، الجالية الأندلسية وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني (16 – 17 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، الجزائر.
- طيبي، مهدية، (2008-2009)، مقاربة للوضع الإجتماعي والإقتصادي لأهل الاندلس بمدينة الجزائر القرن (17 – 18م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، الجزائر.
- سعيدوني ناصر الدين، (1981)، الجالية الاندلسية بالجزائر، مجلة الجندي.

- سعيدوني، ناصر الدين، (2013)، دراسات أندلسية: مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، البصائر، الجزائر.

- طوبال، نجوى، (2013 – 2014)، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر– الفترة العثمانية (1122 – 1246هـ/1710 – 1830م)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث، ج2، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، الجزائر.

قائمة المراجع باللغات الأجنبية

- Alaoui, Y. E. (2009), L'évangélisation des morisques ou comment effacer les frontières religieuses, Cahiers de la Méditerranée(79). (51-72).
- Aziri, M. N. (2014), Les Mots italiens et espagnols dans le vieux parler algérien, ANEP, Algérie.
- Bouzineb, H. (1987), Culture et Identité morisques", Revue des mondes musulmans et de la méditerranée(43), (118 -129).
- Brahimi, D. (1970), Quelques jugements sur les Maures andalous dans les régence turques au 18ème siècle, Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb (9).39 - 51).
- Brahimi, D. (1978), Opinions et regards des Européens sur le Maghreb aux 17ème et 18ème siècles, SNED, Algérie.
- Bruneau, M. (2006), Les Territoires de l'Identité et de la Mémoire collective en Diaspora, l'Espagne géographique, 35, (328 -333).
- Chergui, S. (2009), Les Morisques et l'effort de construction d'Alger aux 17 -18ème siècles, Cahiers de la Méditerranée(79), (303 -317).
- Cologne, C. (1970), Reflets Littéraire de la question morisque entre la guerre des Alppujaras et l'expulsion (1571-1610), Barcelona: el Boletin de la Real Academia de Buenas Letras, (137 -243).
- Dervin, F. (2008), Le français Lingua Franca, un ideal de communication interculturelle inexploré?" Synergies Europe(3), (139-154).
- Haedo, D. (1870), Topographie et Histoire générale d'Alger, Algérie.

- Helly, D. (2006, Avril), Diaspora: un enjeu politique, un symbole, un concept?, Espace, Population, Sociétés, (17 -31).
- Hermosilla, Y. C. (1995), Quand les Morisques se mariaient..., Sharq al Andalous(12), (477 -505).
- Janer, F. (s.d.), Condition sociale des Morisques d'Espagne, Imprimerie centrale de Napoléon chaix Etc., France.
- Lecerf, F. (2009), Une identité imposée, une identité revendiquée: les morisques grenadins au 16ème siècle, Cahiers de la Méditerranée(79), (73-93).
- Loualich, F. (2017), La famille à Alger 17ème et 18ème siècles, Média-Plus, Algérie.
- Missoum, S. (2003), Alger à l'époque ottomane la médina et la maison traditionnelle INAS, Algérie.
- Peyssonnel, J. A. (1987), Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger. , LD/ La Découverte, France.
- Shuval, T. (2002), La ville d'Alger du XVIIIème siècle: population et cadre urbain, CNRS Edition, France.
- Vincent, B. (1993), Le Péril Morisque, Historia, (121 – 131).
- Vincent, B. (2004), La langue espagnole en Afrique du Nord 16 - 18ème siècles, Trames de langues usages et métissages linguistiques dans l'histoire du Maghreb, (105-111.)
- Vingner, G. (2010), "Joclyne Dakhlia, Histoire d'une langue en Méditerranée", Documents pour l'histoire du français langue étrangère ou seconde(45), (210 - 214).
- Shuval, T. (2002), La ville d'Alger vers la fin du XVIII ème siècle : Population et cadre urbain, CNRS Edition, France.
- Arigita, E. (2019), Narratives on the margins of History: Memory and the commemoration of Moriscos, The Journal of North Africa Studies, 24, (134 -151).
- Fuchs, B. (2001), Virtual Spaniards: the Moriscos and the fictions of Spanish identity, Journal of Spanish cultural studies, 2(1), (13-26).
- Hess, A. (1968), The Moriscos: An Ottoman fifth column in sixteenth century Spain, The American History Review, 74(01), (1-25).

- Klemen, P. (2012), Defending the Christian Faith our Blood, the Battle of Lepanto (1571) and the Venetian Eastern Adriatic: Impact of a Global Conflict on Mediterranean Periphery, Atheres: Atiner's Conference Papae Series (MDT2012-0036), (5-15).
- Llopis, B. F. (2018), Turks, Moriscos, and old Christians: cultural politics and the use of the art and architecture as a means to control the faith before and after Lepanto. Some reflections on the Valencia area, Journal of Iberian and Latin American Studies, (73-91).
- Yildirim, O. (2007), The Battle of Lepanto and its impact on Ottoman History and Historiography, Mediterraneo in armi (secc.XV- XVIII), a cura di: Rossella Cancila, 2, (533 -556).